

التبيان في تفسير القرآن

(378) تكذيب الرسل، وجد توحيد، وانكار رسله، فأهلكهم الله فما الذي يؤمن هؤلاء أن يهلكهم. ثم اخبر تعالى انه باهلاكه اياهم لم يظلمهم، ولكن هم الذين ظلموا انفسهم فيما مضى بالمعاصي التي استحقوا بها الهلاك. ثم اخبر تعالى انه اصابهم يعني الكفار جزاء سيئات اعمالهم، وهي القبائح، " وحق بهم " اي حل بهم وبال " ماكانوا به يستهزئون " أي يسخرون برسل الله وبأنبيائه. قوله تعالى: (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين) (35) آية بلاخلاف. حكى الله تعالى عن المشركين مع الله إليها آخر ومعبودا سواه أنهم قالوا " لو شاء الله " اي لو أراد الله لم نكن نعبد شيئا من دونه، من الاصنام والاوثنان، لا " نحن ولاآباؤنا ولاحرمنا " من قبل نفوسنا شيئا، بل اراد الله ذلك منا، فلذلك فعلنا، كما يقول المجبرة الضلال، فكذبهم الله وانكر عليهم، وقال مثل ذلك فعل الذين من قبلهم، من الكفار الضلال كذبوا رسل الله، وجدوا انبياءه ثم عذر انبيائه، فقال " هل على الرسل إلا البلاغ " الظاهر اي ليس عليهم إلا ذلك. وفي ذلك ابطال مذهب المجبرة، لان الله انكر عليهم قولهم إنه " لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء " ومثل هذه الآية التي في الانعام (1) وقد بينها مستوفاة. _____ (1) اية 148 من سورة الانعام في 4: